استراتيجية التسمية في خطاب المتطرفين

مقاربة لسانية تداولية

م.د. مرتضى جبار كاظم

كلية الإمام الكاظم –ع- للعلوم الإسلامية الجامعة

الملخص:

تشتغل هذه المقاربة على تعقب فعل التسمية في خطاب المتطرفين؛ بوصفه إجراءً لسانيًا تداوليًا، ومناورةً خطابية، تسعى إلى الهيمنة على الآخر واختراقه، باستدعاء تمثيلات الماضي ومؤثرات الحاضر. وفي الوقت نفسه، تحاول هذه المقاربة الإفادة من معطيات علم السيميولوجيا في تقويض استراتيجية التسمية لدى المتطرفين بالارتكاز على مطابقة مداليل الخطاب التضليلي لديهم مع الواقع أو عدم مطابقتها.

المقدمة:

التسمية قراءة في الدلالة، وبحث في المعنى، ومنهج في الفهم، بما يحمل هذا الفعل اللغوي من إحالات، تتطلب معرفة تاريخية، وممارسة ثقافية، وتجربة اجتماعية؛ فإطلاق الاسم على المسمى – في منظومة ما – ليس فعلاً اعتباطياً، عشوائياً، بل هو فعل واعٍ، وإرادي، تنتجه ورشات الخطاب المخصصة لهذا الشأن في مطابخها، وفقاً لاستراتيجية معينة.

هكذا جرت العادة في النظم السياسة والعسكرية والثقافية والاجتماعية، لذا، فليس صحيحاً التعامل مع فعل التسمية على أنه حدث في مطلق البراءة، بحيث لا تنحشر فيه مقاصد صانعه حين يصنعه. إنّ هذه المقاربة لا تعني الاهتمام بفعل التسمية بوصفه علامة داخل النظام اللغوي، وما يستدعي ذلك من الاشتغال على البنى والتراكيب اللغوية، بل تعنى بهذا الفعل من حيث كونه نظاما ثقافيا وممارسة اجتماعية وايديولوجية، ومن ثم، فهي مقاربة لسانية بينية لا بنيوية؛ تخطت الاهتمام بنظام اللغة إلى الاشتغال على هذا النظام في أنساقه الثقافية.

ويندرج بيان مصطلحات ومفاهيم هذه الدراسة في الفضاء المعرفي التداولي[١] بحكم الاتفاق عليها من حيث كونها علامات سيميائية، وللاختلاف الشديد على مضامنيها أو إحالاتها، الاختلاف الناتج عن التعددية في الهوية الإسلامية، وسيكون مسار بحثنا موافقاً لما قدمناه.

أولاً/ مفاهيم أساسية:

١- الاستراتيجية:

الاستراتيجية – في مفهومها العام – خطة أو تدابير، ترسم من أجل تحقيق غرض ما[٢]، وأي خطة لها بعدان، أولهما: البعد التخطيطيّ، ويتمثل في العمليات الذهنية والفكرية التي تتكفل بإعداد الخطة وصياغتها. والآخر: البعد الإنجازي الذي يتمثل في تحقيق ما خُطط له بشكل فعلي[٣].

تحكم الاستراتيجية قواعد عمل منظمة، إذ إنَّها في المقام الأول محاولة التكيف مع عناصر السياق المحيطة بالفعل، ولذلك تكوثر مفهوم الاستراتيجية عند (فوكو) من الوجهة الدلالية، فحدده بقوله: ((تستعمل كلمة استراتيجية عادة بثلاثة معان: أولا، للتدليل على اختيار الوسائل المستخدمة للوصول الى غاية معينة، والمقصود بذلك هو العقلانية المستخدمة لبلوغ هدف ما. ثانيا، للتدليل على الطريقة التي يتصرف بها أحد الشركاء في لعبة معينة، تبعا لما يعتقد أنه سيكون تصرف الآخرين ولما يخال أن الآخرين سيتصورون أنه تصرفه هو، باختصار، الطريقة التي نحاول التأثير بها على الغير. أخيرا، للتدليل على مجمل الأساليب المستخدمة في مجابهة ما لحرمان الخصم من وسائله القتالية وإرغامه على الاستسلام ... وعليه، تتحدد الاستراتيجية باختيار الحلول الرابحة))[٤].

وتذهب الباحثة دليلة قسمة إلى أنَّ المفاهيم التي أعطاها فوكو للاستراتيجية في أنها عمل ذهني بالأساس تتفق مع مبدأ العقلانية، أي: عقلنة هذا المفهوم على اعتبار ألا سبيل لتحققه إلا بالعقل[٥].

أما عن مفهوم الاستراتيجية وعلاقتها بالخطاب؛ فهي علاقة تكاد تكون لزومية باعتبار أنَّ مبدع الخطاب يحاول أن يختار في خطابه ما يجده مناسبا وموائما للسياق الذي يروم أن يتواصل به مع متلقيه بهدف تحقيق تواصل ناجح يجسد مقاصد الخطاب في الإقناع والتأثير والإبلاغ بإطاره التواصلي العام، ولا يتحقق هذا المنتج الخطاب إلا بتوافر كفايتين هما: الكفاية اللغوية ذات المفهوم التجريدي، والكفاية التداولية ذات المفهوم الاستعمالي بحسب متطلبات المقام ومقاصد الخطاب[٦].

٢-التسمية:

تؤدي التسمية[٧] – بوصفها علامة خطابية – وظائف وأغراضاً تواصلية وتعريفية وتعيينية وإيحائية تأثيرية مختلفة وفقاً لقصدية المسمِّي واستراتيجيته. ويلاحظ عند فحص الانتخاب اللساني للتسمية في خطاب المتطرفين خروج أو انتقال أسماء الأعلام من المعجم اللغوي المنبني على الدلالة إلى المعجم المختص الذي يتأسس على الإيحاء.

وقد التفت – قديمًا – علماء العربية إلى بعض من أهداف هذه الاستراتيجية (استراتيجية التسمية) برصد جوانب دلالية لها أثرها الاجتماعيّ والنفسيّ عندهم، وعند أعدائهم؛ وذلك باعتبار هذه الأسماء دوالاً سيميائية تحمل معاني تواصلية من شأنها أن تحقق فعلًا تأثيريًا في نفوسهم،

يتحقق بفعل الجانب السايكولوجي المتمثل بـ (التفاؤل)، أو في نفوس أعدائهم بفعل الجانب التأثيريّ المتحقق بالإقناع.

جاء في كتاب الصاحبي : ((وأما تسمية العرب أولادها بكلب وقرد ونمر وأسد، فذهب علماؤنا إلى أن العرب كانت إذا ولد لأحدهم ابن ذكر سمّاه بما يراه أو يسمعه ممّا يُتفأل به، فإن رأى حجرا أو سمعه تأوّل فيه الشدة والصلابة والبقاء والصبر، وإن رأى ذئباً تأوّل فيه الفطنة والنكر والكسب، وإن رأى حماراً تأوّل فيه طول العمر والوقاحة، وإن رأى كلباً تأوّل فيه الحراسة وبُعد الصوت والإلف ..))[٨] .

ولم يختلف المحدثون كثيرًا عن القدماء في نظرهم لهذه الاستراتيجية وأبعادها الاجتماعية والتاريخية والثقافية في التواصل ومجالاته وأهدافه[٩].

٣-الخطاب:

الخطاب سيرورة تواصلية تفاعلية، تشتغل على تكوينه الأقوال لا الجمل، استنادًا إلى أنّ ((الجملة، من حيث تعريفها، موضوع لساني، فهي تتحدد أساسا ببنيتها التركيبية وبدلالتها التي تحسب على أساس دلالة الكلمات المكونة لها. وضمن هذا الفهم، فإن الجملة كيان مجرد وهي نتاج نظرية. إلا أن المتخاطبين عند التواصل، لا يتبادلون جملا بل يتبادلون أقولا. وبالفعل، فقول ما يوافق جملة، تتممها المعلومات التي نستخرجها من المقام الذي تلقى فيه، فالقول إذن نتاج إلقاء جملة ما))[١٠] .

فالخطاب، إذن، يرتبط بالاستعمال الفعليّ للغة، فهو ليس بنية، بل ممارسة دالة، وإجراء لا ينفك عن المقام التواصليّ. ويعرّفه "بنفينست" بأنه: ((كلُّ تلفظ يفترض متكلمًا ومستمعًا وعند الأول هدف التأثير على الثاني بطريقة ما))[١١].

ولا يتحصل "الخطاب" إلا بشرط المرور على طريق "النص" ؛ إذ ينهض تأسيس الخطاب على معادلة التناسب بين النص وظروف إنتاجه[١٢].

٤-التطرف:

هل اقترن التطرف بكل ما هو ديني؟. وهل هو الوجه الآخر للغلو؟. ما علاقته بالإرهاب؟. وهل التطرف فكر أم ممارسة؟.

يشير المعنى اللغويّ للتطرف إلى كل ما جاوز حدّ الاعتدال، زيادةً أو نقصاناً[١٣]. أما في الاصطلاح، فاستُعمل مفهوم التطرف في الإشارة إلى ((الخروج عن القواعد الفكرية والقيم والمعايير والأساليب السلوكية الشائعة في المجتمع ، معبرا عنه بالعزلة أو بالسلبية والانسحاب، أو تبني قيم ومعايير مختلفة، قد يصل الدفاع عنها إلى الاتجاه نحو العنف في شكل فردي أو سلوك جماعي منظم، بهدف إحداث التغيير في المجتمع وفرض الرأي بقوة على الآخرين))[١٤].

ويعتمد التطرف منحًا عقليًا وحالةً نفسيةً تسمى التعصب prejudice للجماعة التي ينتمي إليها، إنْ على المستوى الفكريّ أو الدينيّ أو السياسيّ أو الاجتماعيّ.

فهذه الظاهرة ذات امتداد وتمثيل نمطي موسَّع، بين ما هو فكري وديني وسياسي واجتماعي، والغلو والتعصب من أبرز أشكال هذا الانغلاق العقلي الذي يقود – في الأعم الأغلب – إلى عمليات التخريب المتمثلة بـ"الإرهاب". ومن أكثر أصناف الإرهاب خطورة على المجتمع وتدميرًا لعرى التواصل وتقويضاً للبنى الثقافية والأيديولوجية هو الإرهاب الفكري الذي يشير إلى فرض الأفكار بالقوة واستعمال التخويف والترهيب والعنف بوصفها ردًا طبيعياً على من لا يأخذ بتلك الأفكار[١٥].

ثانيًا/ خطاب التسمية والنسق الثقافي:

اللغة – والتسمية إحدى تمثيلاتها الإجرائية – نسق معرفي، يعمل على تجسيد القيم والرؤى الإيديولوجية والثقافية وإعادة إنتاجها ((فالخطاب السياسيّ الأمريكيّ في عهد بوش مثلاً، يُعيد إنتاج الإيديولوجية الأصولية الأمريكية، والخطاب السياسيّ/ الدينيّ عند أصحاب تنظيم القاعدة، يُعيد إنتاج إيديولوجيا التعصب الدينيّ عند الإسلاميين المتشددين، والخطاب الإعلاميّ المعاصر يؤسس لثقافة الفرجة))[١٦].

صدرت عن مطابخ ورشات خطاب عساكر الجيش الإسرائيلي في عام ١٩٩٦ في أثناء الهجوم على جنود "حزب الله" تسمية (عناقيد الغضب) شعارًا لعمليات تلك العساكر، وهذه التسمية ((صورة لاندلاع الاسم كانفجار المسمى، ولها إيقاع ذو رهبة لأنه يحدث أزيزاً في الذهن كأنه دويّ على غشاء الطبلة في الآذان))[١٧].

من هنا، يمكن القول: إنَّ فعل التسمية، فعل تأثيري، ومناورة خطابية، تهيمن عليها الوظيفة الإقناعية عِبر إثارة انفعالات متلقي هذا الفعل؛ كي يتبنوا موقف منتج التسمية ومصدرها. ومما يسهم في حركية هذا الفعل أنه ((ينفذ بالضرورة إلى جهات تتجاوز أدوار التكلم والتلقي المباشر فيه، ويحقق انتشاراً هائلاً))[١٨].

ولا يتحقق هذا الخطاب (خطاب التسمية) عند المتطرفين إلا بما يسمى بـ (التضليل الكلاميّ) الذي ينشأ عندما يتلاعب المتطرفون بـ (الدلالات المعنوية للكلام) المتموضع في الخطاب الكلاميّ، فيصبح المتلقي أمام خطاب متكون من مصطلحات ومعان ومفاهيم وألفاظ كلامية متلاعب فيها حسب توجيهات المضلل وقصديته[١٩]؛ إذ ((إنَّ البشر لا يفكرون ويعملون نتيجة للكلمات التي تنصب عليهم وتؤثر فيهم، وإنما بفعل معانيها ومدلولاتها))[٢٠].

ثالثًا/ خطاب التسمية – المرجعيات والأصول:

أخذ المتن العام للتسمية في خطاب المتطرفين بالمحافظة على أبعاده الأساسية، ويمكن اختزالها في ثلاثة: المقدس الديني، والموروث التاريخي، والانتساب الجغرافي.

ففي إطار تسمية التنظيمات، يحضر، تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام، بالذخيرة الخطابية الدينية التي يختزنها الشعار المفتاحي المرفوع في رايتهم: (لا إله إلا الله محمد رسول الله)، وكتائب ثورة العشرين، والجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية، وجيش أنصار السنة، وجيش الراشدين، وجيش المجاهدين، وتنظيم قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين ؛ وكل أولئك يجسد الرجوع إلى الذاكرة التاريخية بحمولاتها الدينية التي تمثل (الثوابت) ومعطياتها الحضارية والثقافية التي تمثل (المتغير).

وربما كان هذا سبيلًا ناجعا في ظن هذه الجماعات لكسب الرأي العام اللاواعي؛ فلم يكن لهذه الجماعات منظومة قيمية، وبنى فكرية ومعرفية سليمة ومتماسكة تدعم فرص نجاحها؛ لذا لجأت إلى هذه التسميات ذات البناء والتشكيل المحاط بالقداسة؛ سعيا لتضليل الجمهور وجره إلى الأفكار والآراء التخريبية التي يقدمونها.

وهم بهذا، سعوا إلى السيطرة على تمثيلات الماضي لأجل التحكم في الحاضر؛ إذ تؤدي سرديات الماضي أدوارًا ووظائف خطابية وبلاغية مهمة، مثل: إضفاء أو نزع الشرعية على القوى المتخاصمة، وتسويغ متوالية الأفعال التي يقوم بها كلٌّ منهم، واستقطاب القوى المحايدة، وحشد القوى المناصرة، وزعزعة القوى المناهضة[٢١].

والوسيلة التي تضمن للجمهور أن يكون في مأمن من تأثير تلك التسميات – التي لا يتطابق فيها من وجهة النظر الموضوعية الاسم مع المسمى أو الدال مع المدلول بسبب الانفصال الدلالي – هي النظر في الحقائق الخارجية التي تحيل عليها تلك التسميات. وعليه فإن التفسير الصحيح للخطاب الديني التضليلي المتمظهر في الخطاب المتطرف، هو أن تتطابق الأفكار والدلالات المتمخضة من ألفاظه وتراكيبه مع الحقائق المدركة في الواقع المحسوس.

رابعا: خطاب التسمية وثنائية التكنية والتلقيب:

أصبحت التكنية والتلقيب من الحضور في الأسامي بحيث غدت لازمة سيميائية، فلم تكتفِ التكنية والتلقيب عن كونها ألفاظاً تنتمي إلى قاموس (التخاطب) فحسب، بل تمكنت من تحقيق تواجدها في منظومة اللغة الخاصة – وهي هنا لغة المتطرفين – بوصفه حاملاً لخطاب رمزي.

هذا الحدث اللغوي هو معيار تبجيل وعلامة دالة على ما يحظى به (المسمّى) من وزن ومكانة ورأس مال رمزي لدى (المسمّي) وهو ضرب من إشهار الولاء وتحقيق الانتماء وتعريف للذات والهوية.

وللكنى في الثقافة العربية خاصية التفخيم، فالعرب ((إنما كانت عادتهم أن يدعوا الإنسان باسمه، وإذا ولد له ولد دعي باسم ولده توقيرا له وتفخيما لشأنه، فيقال له أبو فلان وأم فلان ... وقد يكنون الوليد فيقولون "أبو فلان" على سبيل التفاؤل بالسلامة وبلوغ سن الإيلاد))[٢٢].

وفي هذا الإطار، تحضر تسميات مثل: (أبو مصعب الزرقاوي)، و(أبو بكر البغدادي)، و(أبو أيوب المصري)، و(أبو الدرداء العراقي)، و(أبو دجانة)، و(أبو حمزة المهاجر)؛ ففي تسمية (أبو بكر البغدادي) – مثلا – تكوثر لموارد استجلاب الشرعية، وتعزيز التواجد لدى مخيال أو (ذاكرة) مكون من المكونات وتأثيثها، باستدعاء الرافد الديني؛ فأبو بكر أقدم وأول خليفة شرعي لديهم، و(البغدادي) تسمية ترمز إلى الخلافة العباسية، تقوم على إقامة علاقة إيجابية مع التراث، أي أنها تستبطن لديهم كثافة وعمقًا تاريخيًا وحضاريًا.

ويحضر في هذا السياق، البعد المخابراتي، فربما كان فعل الإخفاء والتستر، يتصدر الأسباب التي ألجأت هؤلاء إلى فعل التلقيب والتكنية، ولا سيما في الساحة العراقية، لتعدد الارتباطات الاجتماعية وتشعبها، واشتداد المواجهة والتعقب مع الجماعات الإرهابية؛ فما كان منهم إلا أن يضعوا علامات فارقة تخلو من الرمزية الكبرى، هدفها التمييز، والإظهار بعد الإخفاء.

وقد أكد علماء العربية – من قبلُ – دلالة الكنية على الخفاء، أي: عدم التصريح بالاسم، فبعضهم يستعمل الكنية بدل الاسم للتمويه والتخفي. واعتمدوا في الوصول إلى هذه الدلالة بربط الكنية بالكناية بمفهومها البلاغي في دلالة محورية واحدة هي (الخفاء)[٢٣].

إنّ تمثيل مختلف البلدان، ومختلف الثقافات في متن التسمية لدى الجماعات المتطرفة، يعطي انطباعاً، بمحاولهم إبراز قدرة تنظيماتهم على استيعاب كل الهويات والثقافات الأخرى، لتترجم هذه القدرة انتقال هذه التنظيمات من سمة المحلية إلى سمة العالمية؛ من أجل خلق هوية جمعية، ونلحظ مثول هذا النسق بتسميات كثيرة، أبو مصعب الزرقاوي، وأبو أيوب المصري، والليبي، والسوداني، والتونسي، والعراقي.

خامسًا/ خطاب التسمية بين الاستلاب الخطابيّ والصراع التاريخيّ:

يشتغل المتطرفون على فكرة (التوطين اللغويّ) باختراق نسيج الناس الاجتماعيّ، وموجهاتهم الفكرية ومعتقداتهم الدينية، ويسعى خطاب التسمية لديهم إلى اكتساب شرعيته حتى يغدو وكأنه في ظاهر الأمر صادر عنهم ونابع من إرثهم الحضاري والديني؛ وجعل فواصله غير المرئية مبثوثة في أوساط التعايش اليومي.

ويندرج هذا الأمر ضمن ظاهرة "الاستلاب الخطابي" الذي يجسّد استحواذ خطاب جهة أو سلطة ما، على المقولات الأكثر قبولا وشعبية وجاذبية في الخطاب المناهض لها[٢٤].

من جانب آخر، يمثل فعل التسمية، وفقاً لعملية التخير الدلالي، ضغطاً وتهديداً للآخر، المتصارع معهم في حلبة السياسة والعقيدة والتاريخ، فهو نوع من إعادة صياغة المواجهة العقائدية القديمة التي نشأت بشروط تاريخية معروفة، ليكون هذا الاستعمال اللغوي حاملا لأعباء التاريخ، مختزلا صراعاته الطويلة.

وربما ينكشف هذا بملاحظة ثنائية (الإحضار والإقصاء) للرموز الدينية والتاريخية الكبرى، فالتسمية ((تفصح عن الرهانات الكامنة خلف الاختيار: اختيار تسمية دون أخرى، بما في ذلك من إحضار وإقصاء يتم عبر استراتيجية اللغة))[٢٥].

فهي رهانات سياسية ترسم بطريقتها العناصر الأساسية المكونة لهوية هذه الجماعات الثقافية وانعكاس لعملية الإقصاء الكلي لما لا يتوافق مع رؤية هذه الجماعات، واجتثاث للرموز التي لا تتفق مع أيديولوجيته.

لذلك؛ فإنّ سوسيولوجية النص أو العلامة ينبغي أن تنطلق من مبدأين؛ أولهما: أن القيم الاجتماعية لا توجد خارج اللغة، والآخر: أن الوحدات القاموسية والدلالية والنحوية تمثل محوراً لمصالح جماعية، بإمكانها أن تصبح رهانات للصراعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية[٢٦].

سادسا: خطاب التسمية وثنائية الذكورة والأنوثة:

يكاد يخلو فعل التسمية في خطاب هذه الجماعات من أسماء الإناث في مجال التكنية، وهذا يؤكد هيمنة الرجل – في منظورهم – على مصادر القرار وتملكه للسلطة في مستوياتها المادية والرمزية والثقافية.

ويمكن عدّ هذا الأمر مؤشرًا لطغيان الثقافة البدوية الذكورية العربية على الثقافة العقائدية؛ ذلك أنّ فعلهم هذا يتقاطع مع منظومة القيم التي رسخها الدين الإسلامي الحنيف؛ فمن المعروف أن رموز الأنوثة حضرت بكثافة في المنظومة الإسلامية في عصورها الأولى، والشواهد على ذلك كثيرة.

إذن، فالمرجعية الثقافية المهيمنة على هذه الجماعات، أفضت إلى أن تكون المرأة بين تموضعين، بين (التشييء) القَبَلي الذي يعكس الإذلال الاجتماعي، و (التمييع) المادي الذي يجسد الامتهان الخُلُقي.

في الوقت نفسه، فإنّ تغليب مفهوم الرجولة وتغييب مفهوم الأنوثة في فعل التسمية لدى المتطرفين يتساوق مع أدبيات النظام الرأسمالي؛ ((إذ إن الاقتصاد بما فيه من ثروة مادية ووسائل للإنتاج والتوزيع يقع تحت رحمة الرجال. أفلا نقول في اللغة "رجل أعمال"، دون أن نأخذ بعين الاعتبار أنه من الممكن أن تكون هناك "امرأة أعمال". فحتى في المجتمعات الأكثر تقدما لا زالت "امرأة أعمال" حالة استثنائية))[٢٧].

سابعًا/ خطاب التسمية والدلالة الإيحائية:

يشتغل المتطرفون على تحويل اللغة من مستواها القولي إلى مستواها الفعلي، فالبناء اللغوي لديهم لم يقف عند استراتيجية (رؤية العالم) بإسهامات هذه الرؤية في التعبير عن المواقف والرؤى والمتبنيات، بل تحولت إلى استراتيجية أخرى (تغيير العالم)؛ إذ إنهم يستعملون العلامة اللغوية لتتحول من مجرد دال يحيل على مدلول، إلى موقف، ومن ورائه اختيار كامل مرتسم على شاشة الأحداث.

وللفعل اللغويّ في خطاب المتطرفين إسهام كبير في خرق المعنى، والتخريب الدلالي، باستثمار اللغة في نقل رسائل زائفة، وتجريم البراءة، وتبرئة الجريمة، وتضليل الرأي العام، وتحطيم الاستعمال الأمثل للبعد الأخلاقي والقيمي والجمالي للبناء اللغوي، فانتقلت (السيارة) بفعلهم اللغوي من دلالتها المركزية المجسدة لوسيلة النقل، إلى أداة قتل، وتحولت الطائرة إلى صاروخ قاتل، والطفل المنغولي صار رمزاً للّغم. وبهذه الصيرورة والسيولة، تتشكل لديهم الدلالة الإيحائية التي تصبح فيها العلامة دالا لمدلول ثان.

فهذه العلامات مرت لديهم بمرحلتي: التفريغ ، والشحن ؛ فالعملية الأولى تنتجها قوة خطاب هذه الجماعات على إفراغ العلامة مما اكتسبته من شحنات دلالية وسيميائية عبر تاريخها السابق، حتى تفارق دلالتها الأصلية أذهانَ الناس، أما العملية الثانية فتظهر فيها العلامة وكأنها مولود جديد، مستمدة إيحاءاتها الهامشية من محيطها ومنظومتها الخطابية[٢٨] ؛ لتتجول هذه العلامة في الفضاء العام وفي الأذهان وتتلون بدلالة تتساوق مع اللحظة الثقافية والاجتماعية الراهنة.

وهذا معناه أنَّ الدلالة ليست معطى جاهزاً يُوجد خارج الفعل الإنساني، بل هو سيرورة في الوجود والاشتغال، ولمّا كانت ((كل واقعة، سواء تعلق الأمر بـ "الكلمة" أو بـ "الشيء" أو بـ "طقس من الطقوس الاجتماعية"، تستدعي دائما، لكي تُدرك، السيرورة التاريخية التي نشأت في أحضانها، وتحولت عبرها إلى ذاكرة للفعل الإنساني؛ فإنَّ الجنوح إلى تجاوز ما هو معطى بشكل مباشر داخل العلامة والبحث عن معان ثانية أمر طبيعي، ويستجيب للطابع المتنوع للحاجات التي تنتجها الممارسة الإنسانية))[٢٩].

نتائج البحث:

- ليس بالإمكان فهم "التسمية" بوصفها علامةً وتأويلها إلا بالوقوف على الشروط الثقافية التي تسببت في ظهورها.
- تأخذ استراتيجية التسمية في الخطاب المتطرف منحى تضليليا يحاول أن يرسم عوالم متخيلة من الأباطيل ليقنع بها المخاطبين من ذوي الثقافة المحدودة.
- تمثل استراتيجية التسمية – بوصفها نسقًا معرفيًا مؤثرًا – تجسيدًا للقيم والرؤى الأيديولوجية وإعادة إنتاجها.
- تمثل هذه الاستراتيجية في الخطاب المتطرف مؤشرًا سيميائيًا تواصليًا يحمل في طياته أهدافًا قصدية، تتمحور في دائرة الإقناع والتأثير، وتقويض الآراء والأيديولوجيات المناهضة.
- وجود ملامح مهمة لهذه الاستراتيجية التواصلية في المدونة اللغوية للتراث العربيّ، وقد أوضح البحث هذه المسألة في مواضعها.
- أظهر البحث إمكانية تقويض هذه الاستراتيجية المضللة بالعودة إلى معطيات حقل السيمياء وتحديدا في فرعيه الدلالة والتداولية؛ لإثبات بطلان هذه الاستراتيجية وتأكيد سوء نية أصحابها.

الهوامش:

(١) ينظر: التداولية اليوم – علم جديد في التواصل، و المقاربة التداولية.

(٢) ينظر: الموسوعة العسكرية، ٦٦.

(٣) ينظر: استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، ٥٣.

(٤) ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية)، ٢٠٠.

(٥) ينظر: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، ٧١.

(٦) ينظر: استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، ٧١.

(٧) يمكن أن يشار هنا إلى الاختلاف الدائر في مرجعية علم التسمية هل هو فرع من علم المعاجم أم هو فرع من علم الدلالة أم هو علم قائم بذاته يتساوق مع علم الوضع. والرأي الذي يتبناه البحث أن علم التسمية علم قائم بذاته.

(٨) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ٥٧.

(٩) ينظرعلى سبيل المثال دراسة الدكتور إبراهيم السامرائي (الأعلام العربية دراسة لغوية اجتماعية).

(١٠) القاموس الموسوعي للتداولية، ٢٦ و٢٧.

(١١) تحليل الخطاب الروائي، ١٩.

(١٢) ينظر: النظريات اللسانية الكبرى، ٣١٥. وأصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية، ١٠١/١.

(١٣) ينظر: المعجم الوسيط، ٢/ ٥٥٥.

(١٤) الشبكة المعلوماتية (الأنترنت) www.moqatel .

(١٥) ينظر: الفلسفة والإرهاب أو في سلم السؤال وعنف الجواب، ٣٤.

(١٦) لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، ٢٥.

(١٧) اللغة والسياسة، ١٧١. (بحث).

(١٨) آليات تحليل الخطاب السياسي، ١٠ (بحث).

(١٩) ينظر: التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي، ١٢٧.

(٢٠) لغة السياسة، ٩٠.

(٢١) ينظر: حروب بلاغية – مناورات خطاب السلطة في ساحة الثورة، ٣٤٢. (بحث).

(٢٢) شرح المفصل، ٢٧/١. بيروت، د. ت. ويذكر السيوطي نقلا عن الزمخشري أن الكنية خاصة بالعرب دون بقية أمم الأرض، في حين أن اللقب موجود في جميع الأمم؛ لذلك قلّ من المشاهير من العرب والعجم في الجاهلية من ليس له لقب. ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ٢/ ٢٧٣.

(٢٣) ينظر: الكنى والألقاب في القرآن الكريم – دراسة دلالية مقارنة، ٣٠١. (بحث).

(٢٤) ينظر: حروب بلاغية – مناورات خطاب السلطة في ساحة الثورة، ٣٢٩.

(٢٥) السيميولوجيا الاجتماعية، ١٤٨.

(٢٦) ينظر: السيميولوجيا الاجتماعية، ١٣٦.

(٢٧) الإشهار والتمثلات الثقافية – الذكورة والأنوثة نموذجاً، ٨١ (بحث).

(٢٨) ينظر: المعنى وظلال المعنى، ٢٠٢. ومقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، ٧٩–٨٣.

(٢٩) السيميائيات والتأويل – مدخل لسيميائيات ش.س. بورس، ١٨٤.

لائحة المصادر والمراجع:

١–آليات تحليل الخطاب السياسي، منير التريكي،(بحث) مجلة الحياة الثقافية، العدد ١٣٢، السنة ٢٠٠٢م.

٢–استراتيجيات الخطاب في الحديث النبوي، دليلة قسمة، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الحاج لخضر، باتنة، كلية الآداب واللغات، ٢٠١١–٢٠١٢م.

٣–استراتيجيات الخطاب – مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان،ط١، ٢٠٠٤م.

٤–الإشهار والتمثلات الثقافية – الذكورة والأنوثة أنموذجاً (بحث) ضمن كتاب استراتيجيات التواصل الإشهاري، سعيد بنكراد وآخرون، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط١، ٢٠١٠.

٥–أصول تحليل الخطاب في النظرية النحوية العربية – تأسيس نحو النص، محمد الشاوش، المؤسسة العربية للتوزيع – تونس، جامعة منوبة – كلية الآداب – منوبة، ط١، ٢٠٠١م.

٦–الأعلام في العربية دراسة لغوية اجتماعية، الدكتور إبراهيم السامرائي، مطبعة أسعد، ١٩٦٠م.

٧–تحليل الخطاب الروائي، سعد يقطين، المركز الثقافي، بيروت – لبنان،ط١٩٨٩،١م.

٨–التداولية – علم جديد في التواصل، آن روبول، جاك موشلار، ترجمة الدكتور سيف الدين دغفوس، والدكتور محمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، نشر وتوزيع دار الطليعة، بيروت– لبنان،ط١، ٢٠٠٣م.

٩–التضليل الكلامي وآليات السيطرة على الرأي– الحركة السفسطائية أنموذجاً، دكتور كلوديونان، دار النهضة العربية، د.ت.

١٠- حروب بلاغية – مناورات خطاب السلطة في ساحة الثورة، د. عماد عبد اللطيف (بحث) ضمن كتاب التداوليات وتحليل الخطاب، الإشراف والتقديم د. حافظ إسماعيلي علوي، ود. منصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط١، ٢٠١٤م.

١١- السيميائيات والتأويل – مدخل لسيميائيات ش.س.بورس، سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب،ط١،٢٠٠٥م.

١٢- السيميولوجيا الاجتماعية، الدكتور محسن بوعزيزي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠١٠م.

١٣- الشبكة المعلوماتية (الأنترنت) www. Moqatel.

١٤- شرح المفصل، ابن يعيش (٦٤٣هـ)، بيروت، د.ط، د.ت.

١٥- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٧م.

١٦- الفلسفة والإرهاب أو في سلم السؤال وعنف الجواب – سرد في الجريمة المنظمة ضد العقل، د. علي عبود المحمداوي، تقديم إدريس هاني، منشورات ضفاف والاختلاف،ط١، ٢٠١٦م.

١٧- القاموس الموسوعي للتداولية، جاك موشلار، آن ريبول، ترجمة مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، إشراف عز الدين المجدوب، مراجعة خالد ميلاد، منشورات دار سيناترا، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م.

١٨- الكنى والألقاب في القرآن الكريم – دراسة دلالية مقارنة، د. محمد عبد مشكور (بحث) ضمن كتاب انسجام المعرفة اللغوية، إعداد مؤيد آل صوينت وعارف الساعدي، منشورات ضفاف والاختلاف، ط١،٢٠١٥م.

١٩- لسانيات الخطاب وأنساق الثقافة، الدكتور عبد الفتاح أحمد يوسف، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت– لبنان،ط١،٢٠١٠م.

٢٠- لغة السياسة، كلاوس جورج، ترجمة ميشال كيلو، دار الحقيقة، بيروت، ط٢، د.ت.

٢١- اللغة والسياسة، د. عبد السلام المسدي (بحث)، مجلة ثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، د. ع، ٢٠٠٨م.

٢٢- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي (٩١١هـ) ، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٨م.

٢٣- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وأحمد حسن الزيات وحامد عبد القادر ومحمد علي النجار، دار الدعوة، تركيا، ط٢، ١٩٧٢م.

٢٤- المعنى وظلال المعنى – أنظمة الدلالة في العربية،د. محمد محمد يونس علي، دار المدار الإسلامي، بيروت– لبنان،ط١،٢٠٠٧م.

٢٥- المقاربة التداولية، فرانسواز أرمينكو، ترجمة الدكتور سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، د.ط، ١٩٨٦م.

٢٦- مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، الدكتور محمد محمد يونس علي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٧- الموسوعة العسكرية، هيثم الأيوبي وآخرون، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨١م.

٢٨- ميشيل فوكو (مسيرة فلسفية)، أوبيير دريفوس وبول رابينوف، ترجمة جورج أبي صالح، مراجعة وشروح مطاع صفدي، مركز الإنماء القومي، بيروت، د.ت.

٢٩- النظريات اللسانية الكبرى – من النحو المقارن إلى الذرائعية، ماري آن بافو، جورج إليا سرفاتي، ترجمة محمد الراضي، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت – لبنان،ط٢٠١٢،١م.

The Naming Strategy in the Extremists' Discourse

A Pragmatic Study

Dr. Murtaza Jabbar Kadhim

Imam Kadhim College (peace be upon him) University of Science Alafalmah

ABSTRACT:

This study aims to trace the naming act in the extremists' discourse as a misleading linguistic procedure and a discoursal maneuver trying to dominate and permeate the other by provoking the past representations and the present influences. At the same time, the study tries to make use of the facts of semiotics to undermine this strategy relying on whether the significations of the misleading discourse are compatible with reality or not.